تجليات الإلتزام في شعر عدنان النحوي

أسـراء علي
طالبة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مازندران، إيران
Alibdulhussien103@gmail.com
بهروز قربان زاده (الكاتب المسؤول)
أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مازندران، إيران
b.ghorbanzadeh@umz.ac.ir
حميد رضا مشايخي
أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مازندران، إيران
mashayekhih@umz.ac.ir

Manifestations of Commitment in the Poetry of Adnan al-Nahwi

Israa Ali
Master's student , Department of Arabic Language and its literature , University of Mazinderan , Iran
Bahruz Ghorban Zadeh (the responsible writer)
Assistant Professor , Department of Arabic Language and its literature University of Mazinderan, Iran
Hamid Reda Mashaykhi
Associate Professor , Department of Arabic Language and its literature University of Mazinderan, Iran

الملخص:-

إن الالتزام في الادب هو ان يعتني الاديب والشعراء بقضايا قومه ووطنه ودينه فيدافع عنها اما اعدائه وقد كثرا في القرن الأخير نظرا لم يتعرض له الاسلام من هجمات شرسة من قبل الغرب على المستوي العسكري والسياسي والثقافي وكان الشاعر عدنان النحوي من ابرز اساطين الادب الملتزم في العصر الحديث وقد تميز ادبه الملتزم بعدة سمات ميزته عن غيره لذا نسعي من خلال المنهج الوصفي التحليلي ان ندرس تجليات الالتزام في شعره ونبين محاورها وسماتها الفنية والمضمونية.

وقد انتهى البحث إلى نتيجة مفادها ان الشاعر اهتم بقضية الالتزام ومن ابرز قصائده في هذا الصدد هي قصيدة ((هوي وهوان)) فقد أنشد الشاعر هذه القصيدة في واقع الأمّة العربية الإسلامية المنقسمة وندد فيها بسياسات الحكومات القومية العربية في تعاملها مع الشعوب العربية وقد انقسمت القصيدة بمجملها إلى اربعة محاور متلاحمة اما المحور الاول فقد تناول الشاعر واقع الأمّة العربية المسلمة وانقساماتها بفعل التوجهات القومية والميول السلطوية وتداعيات تلك الانقسامات على الواقع المعاش كما ان المحور الثاني يصف الشاعر أسباب تلك المأساة ودوافعها الرئيسة كما ان في المحور الثالث يصف علاج تلك الانقسامات و الشتات المنتشر في جسم الأمّة المسلمة وفي المحور الرابع يكشف عن أبرز التحديات التي تعرقل مصير وحدة المسلمين.

الكلمات المفتاحية: الإلتزام الأدبي، عدنان النحوي، مقاومة الإستبداد، الإنقسامات في الأمة الإسلامية، المنهج الوصفي التحليلي.

Abstract:-

The writer, through his commitment to literature, is that he should care about the issues of his people, homeland and religion and defend them. As for his enemies that increased in number through the last century due to the fierce attacks that the Islam is being faced from the West at the military, political and cultural levels.

The poet, Adnan al-Nahwi was one of the most prominent masters of the committed literature in the modern era. His committed literature is distinguished with several features that distinguished him from others. So, we seek through the descriptive analytical method to study the manifestations of commitment in his poetry and show its aspects and artistic and content features.

The research came to the conclusion that the poet was concerned with the issue of commitment. Among his most prominent poems in this regard is (Hawa wa Hewan). The poet sang this poem in the reality of the divided Arabic Islamic nation, and denounced the policies of Arab national governments in their dealing with the Arab peoples. The poem is divided entirely into four coherent axes. The first one is that the poet dealt with the reality the Islamic Arab nation and its divisions due to the national trends and authoritarian tendencies and the repercussions of those divisions on the lived reality. The second axis; the poet describes the reasons of that tragedy and its main motives. The third axis; the poet describes the treatment of those divisions and the diaspora that is spread in the body of the Muslim Nation. As for the firth axis, that the poet reveals the most prominent challenges that hinder the fate of the unity of Muslims.

Key words: literal commitment, Adnan al-Nahwi , resist tyranny , divisions in the Islamic Nation , descriptive analytical method.

المقدمة:-

نسعى في هذا المقالة ان نركز على مظاهر الالتزام لدى الشاعر عدنان النحوي فقد كان الشاعر من جملة الشعراء المناضلين الذين سخروا شعرهم في سبيل الالتزام بقضايا وطنه العربي والاسلامي والمقاومة السياسية امام جحافل الاستعمار والاحتلال كما حث على الجهاد والنضال باعتباره الحل الوحيد للخروج من ازمة التردي والتخلف الشرقي الاسلامي.

سنعتمد المنهج الوصفي التحليلي في مقالتنا اما المنهج الوصفي هو احد المناهج المهمة جدا في البحث، وتكمن هذه الأهمية في كثرة استعماله والاعتماد عليه في أنواع عديدة من الدراسات والأبحاث، فهو منهج يهتم بدراسة الظواهر كما هي موجودة في الواقع بالاضافة الى انه يهتم بوصف الظاهرة وصفا دقيقا، فيعبر عنها من خلال وصفها وتوضيح خصائصها. اما المنهج التحليلي: يعتبر المنهج التحليلي فيعتبر اهم مناهج البحث العلمي ويستخدم في تحليل البيانات،وهدفه الوصول الى افضل حلول ممكنة للمشكلة المتعلقة بموضوع البحث فهو المنهج الذي يقوم الباحث من خلاله بدراسة مختلف الإشكاليات العلمية معتمدا بذلك على عدة أساليب كالتفكيك والتقويم والتركيب وفي المنهج التحليلي يقوم الباحث من خلاله بشرح موضوع بحثه العلمي معتمدا على عملية التاويل والنقد.

خلفية البحث:

من ابرز البحوث التي تناولت الشاعر:

١. بردوني، نعيمة،١٩٩٣، "ملحمة ربا الأقصى للدكتور عدنان على رضا النحوي في ضوء نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني"، المغرب، جامعة الحسن الثاني،كلية الآداب والعلوم الإنسانية. وقد توصل البحث إلى ان هناك انسجام تام بين العناصر الفنية التي تشكل نصوص الشاعر وابان عن جمالية بعض القصائد وذلك من خلال نظرية النظم لعبدالقاهر الجرجاني.

٢. السباعي، ثميمونت، ١٩٩٦، "قصيدة الغرباء للشاعر عدنان على رضا النحوي"، جامعة محمّد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية؛ وقد خلص البحث إلى ان

قصيدة الغرباء امتلأت بالجماليات والصور البلاغية التي تضمنتها وهي تتمثل بفنون البديع والبيان والصور التراثية وقد رفعت من مستواها البلاغي القصية وشهدت على براعة خياله وجودة تصويره.

الا انه هذه البحوث كما يبدو من عناوينها قد تناولت حياته والقت الضوء على بعض قصائده دون ان تدرس بصورة مستقصية ظاهرة الالتزام في شعره على الرغم من خصوبة شعره في مجال الأدب الملتزم والذي يمعن في شعر النحوي وأدبه سيكتشف عظمة هذا الشاعر و فكره الإسلامي.

يسعي هذا البحث من خلال المنهج الوصفي التحليلي ان يلقي الضوء على ظاهرة الالتزام في شعره عدنان النحوي ان شاء الله ويتمثل السوال الرئيسي: كيف تجلي الاتزام في شعره عدنان النحوي وما هي ابرز سماته؟

مفهوم الالتزام الأدبي:

الالتزام لغويا، من لزم الشئ والتزمه، أي لايفارقه، والالتزام (ابن منظور، ١٢٥٤١) ولها دلالات مختلفة المعاني تشترك في أخذ الفرد على عاتقه أو تعهده لنفسه باتيان عمل بطريقة معينة في الأداء واتخذت اللفظة، اليوم، معني اصطلاحيا نتيجة لتطور الفكر الحديث فكثر استخدامه في الفكر والأدب والفن دالة في مضمونها على مشاركة واعية في قضايا الجماهير والعمل على حل مشكلاتهم. (طبانة، ١٩٧٩:١٥)

والالتزام الأدبي هو حزم الأمر على الوقوف بجانب قضية سياسية أو اجتماعية أو فنية، والانتقال من التأييد الداخلي إلى التعبير الخارج عن هذا الموقف بكل ما ينتجه الأديب من آثار تكون حاصلة لمعاناة صاحبها ولاحساسه العميق ولواجب الكفاح ولمشاركته الفعلية في تحقيق الغاية من الالتزام. أو اعتبار الأديب فنه وسيلة لخدمة فكرة معينة عن الإنسان وعن وجهة نظر محددة في الحياة وتحمل مسؤوليتها.(مندور،١٩٩٥: ١٢٤) أو وجوب مشاركته بالفكر والشعور والفن في القضايا الوطنية والإنسانية وفيما يعانون من آلام وما يبنون من آمال (غنيمي هلال، ١٩٩٧: ٤٥٦) عن موقف صلب محدد مرتبط بالعقيدة. ففكرة الالتزام بهذا المفهوم جديدة في الأدب العربي الحديث بل في الآداب العالمية (أبوحاقة، ١٩٧٩:١٦) ومحددة للأدب غايةً قد تكون إيحائية، فردية تهدف إلى متعة فنية مضافا إليها

خدمة اجتماعية، أو اجتماعية ترى أن الشعر يساوي خدمة اجتماعية مضافا إليها متعة فنية. (المنصوري، ٢٠٠٠: ١٠٧) فانتشر، أخيرا، مصطلح الالتزام والصيغ المشتقة منه على نطاق واسع في الخطاب الأدبي دالا على ممارسة أدبية وثيقة الارتباط بالسياسة وبالمناقشات التي تثيرها فمصطلح الالتزام شمل مضمون الشعر دون شكله الفني ولأجل ذا ارتبط بالقضايا الاجتماعية والسياسية أشد الارتباط. (دوني، ٢٠٠٥:٩)

للثقافة الإسلامية في الوسط الاجتماعي العربي تأثير هام جدا خاصة بعد ظهور السيد جمال الدين الأسدآبادي في مصر واتصاله بالأدباء حيث أصبح الروح الكامن وراء حيوية الأدب العربي الحديث ودفعه نحو الاهتمام بالمسائل اليومية فاستطاع بفضل نشاطاته الفكرية والسياسية والدينية أن يكون جماعة فذة من الأدباء والمثقفين الذين مهدوا السبيل للنهضة الأدبية المعاصرة، فجعل الوعي الديني والصحوة الإسلامية منطق النضال القومي (ميرزائي، ١٤٢٥ ق:٧٢) فكانت الإرهاصات الأولى لفكرة الالتزام ظهرت عند جمالالدين الأسدآبادي الذي كان ينصح معاصريه من الأدباء أن يجعل أدبهم في خدمة مصر، ثم قوي هذا التيار بفضل نشاطات تلميذه محمد عبده والذي كان على رأس هذا الاتجاه وغايته جعل المسلمين أقوياء قادرين على حماية أنفسهم من الخطر الاجنبي. (أبوحاقة، ١٩٧٩: ١٠٩).

فالأديب ملتزم بالرؤية الإسلامية تجاه الكون والحياة والإنسان، فيما سمي بعد نابع من أعماق)) بالأدب الإسلامي أو الواقعية الإسلامية. والتزام الأديب الإسلامَ نفسه ويعد مقوما من مقومات وجوده، ثابت عليه لايتزعزع عنه مهما كثرت المحاولات لصرفه عنه لأن ما ألزم به نفسه جزء لا يتجزأ من عقيدته... يرخص كل غال نفيس في سبيله للحفاظ عليها، ثم الأديب المسلم ملتزم بالله المتصف بصفات الكمال وملتزم بشريعة مقررة ثابتة ومثل محددة واضحة لم يبتدعها من عند نفسه ابتداعا (حماد، ١٤٢٢ ق: ٢)

يتجلّى الأدب الملتزم في مواجهة الأزمات والنكبات سيفا قاطعا لكلّ ألوان القيود، لأنه ينتشل النفس من الحزن والآهات والدموع والحسرة، والندم والقلق، والعدم والموت وينطلق بها إلى انعتاق كامل للمجتمع والأمة من هذه الحالات الضعيفة ليرتقي بهما إلى المجد والعزة والاستبشار بالنصر أو نيل الشهادة العظيمة..(هاشم، ١٩٩٣:٢٠)

فوظيفة الأدب الملتزم للنكبات والأزمات وظيفة مقدسة نبيلة تسطع في مواجهة

عالم الحقد والجريمة الوحشية والإبادة لبني البشر... ما يعني انّ الأديب المقاوم يصبح لغز الألغاز في التعبير عما يشاهده ويشعر به بلغة الانزياحات الفنية والفكرية بعد أن تفاعل بالدهشة القاتلة والصدمة المروعة لذلك.. فهو لم يقع في الخيبة والمرارة والبكاء كعامة الناس، لأنه ليس مثيلا لهم بما يحمله من حساسية مرهفة ووعي شمولي عال وفكر وقاد يتربع على عرش الثقافة الفنية والأدبية، ما يدلّ بأنه يتنبه على كل ما يجري، وينفتح عليه ليعبر عنه برؤية شعورية جادة وأصيلة.. (عبدالنور، ١٩٨٤: ٣١)

وعليه فانّ الأديب والمثقف والكاتب الملتزم يتبنى إيقاظ المشاعر الوطنية والقومية والخلقية للالتزام بقضايا مجتمعه؛ من دون أن يعطّل مفهوم العقل في هذا الالتزام... فصور المآسي والنكبات في النفي واللجوء والغربة تلحّ على القلب والعقل فتثير التوتر فيهما، وإذا تكثّفت هذه النكبات وتلاحقت أمام عيني المبدع أثارت لديه حساسية عالية لنبذ كل أشكال الصور المرعبة والمؤذية.

نرى في العصور الاخيرة ان السلطات االامبريالية والمحتلة قامت بنهب وسلب ثروات الشعوب الاسلامية والعربية لذا هبّ الشعراء والادباء في الصفّ الاول من المقاومة وشكلوا بذلك الالدب الملتزم الذي يسعي لمناهضة الجبابرة والمعتدين.وهكذا فعنوان الادب الملتزم يستخدم في النصوص الادبية التي تنشا اثر ظروف الكبت والقمع و الاستبداد و عدم الحرية والفوضي والقهر و النهب وسلب الثروات الوطنية. يهدف هذا الادب إلى الاطاحة بهذه السطلات الجائرة وقسرها لذا يسعي بكل جهده لاثارة المجاهير السادرة بمسايرة الانتفاضات الاجتماعية وتاجيجها.

فالادب الملتزم المقاوم يرسم مسيرة النضال الشعبي التي تاتي بهدف تحرير الارض، و الدين، والثقافة من ايدي المعتدين على تلك القيم الوطنية و الانسانية باسلوب ادبي راق. (نجاريان، ١٣٨٨: ٢٠٢).

ومن ابرز مستلزمات هذا الادب هو توفر عناصر الالتزام و المثابرة في سبيل تحقيق الهدف: فالادب المقاوم ضرب من الادب الملتزم الذي يعاكس رغبة السلطات الحاكمة الجائرة وغالبا ما يكون صريحا بعيدا عن عنصر الخيال. لذا بناءا على هذا التعريف فادب المقاومة هو ادب تعليمي ذو غاية واضحة وهو يسعي للقاء فكرة التحرر في ذهن الشعوب

ويعلمهم كيفية مناهضة الطغاة والجبابرة ومقاومتهم. (الدسوقي، ١٩٧٣: ٣٢٧)

حياة الشاعر:

وقد كان الشاعر عدنان النحوي من ابرز رواد الادب الملتزم الاسلامي والعربي في الوطن العربي. فقد ولد هذه الشاعر في صفد ـ فلسطين ـ ١٣٤٦/٧/٢٣هـ الموافق ١٩٢٨/١/١٥م انتقل بعدها إلى السعودية وحصل على جنسيتها فعاش اكثر عمره هناك. حاز على العديد من المؤهلات العلمية أبرزها شهادة دبلوم في التربية والتعليم و أصول التدريس من فلسطين، وإنترميديت فلسطين وشهادة بكالوريوس في هندسة الاتّصالات الكهربائية من مصر بتقدير جيد جداً مع مرتبة الشرف الثانية وشهادة الماجستير والدكتوراه في نفس التخصص من أمريكا وشهادة التدريب على اللغة الفرنسية وأجهزة الإرسال الإذاعي لمدّة ستّة أشهر في فرنسا والتدريب في جامعة الملك سعود بالرياض في دراسات عليا في الهندسة الكهربائية.

امّا نشاطه الرئيسي فهو داعية مسلم لأكثر من نصف قرن. تفرغ للدفاع عن الاسلام، وتبليغ رسالة الله كما انشغل الشاعر في الدراسات والأبحاث الدعوية والفكرية والأدبية، وتطبيقها في الواقع. وقد حافظ خلال مسيرته على أمانة رأيه وثبات موقفه واستقامة مسيرته، مع توافر الحجة والبينة فيما يكتب من خلال الدعوة الإسلامية امتدّ نشاطه إلى قضية فلسطين وسائر قضايا العالم الإسلامي، وإلى الأدب بعامّة والأدب الإسلامي بخاصة، وإلى ميادين فكرية واجتماعية وسياسية متعددة.

له العديد من المؤلّفات حتى انّها تبلغ الآن ثمانية وتسعين كتاباً في موضوعات مختلفة من أبرزها:

١- الفكر الإسلامي والدعوة والفقه والتوحيد خمسة وثلاثون كتاباً،

٢- دراسات في أحداث الواقع وقضاياه الفكرية عشرون كتاباً،

٣- الأدب الملتزم بالإسلام والمذاهب الأخرى كالحداثة وغيرها: أربعة عشر كتاباً،

٤- الدواوين الشعريّة: ثمانية دواوين هي ديوان الأرض المباركة وديوان موكب النور وديوان جراح على الدرب وديوان مهرجان القصيد و ديوان عبر وعبرات و ديوان حرقة ألم وإشراقة أمل وديوان درة الأقصى وديوان أب يرثي ابنه وديوان أين

الجنى وديوان حنين وأمل.

٥- الملاحم: أربع عشرة ملحمة هي عبارة عن ملحمة فلسطين و ملحمة الأقصى وملحمة الجهاد الأفغاني وملحمة البوسنة والهرسك و ملحمة الإسلام في الهند وملحمة القسطنطينية و ملحمة الغرباء وملحمة أرض الرسالات وملحمة الإسلام من فلسطين إلى لقاء المؤمنين و ملحمة لهفي على بغداد وملحمة بين سجن أبو غريب ورفح وملحمة أفغانستان وملحمة الطوفان (تسونامي) وملحمة التاريخ.. قيام الدول الإسلامية وسقوطها وملحمة غزة مجزرة بين قسوة الحصار ولهيب النار وهول الدمار.

كان الشاعر من ابرز اساطين الادب الملتزم المقاوم وقد تميز ادبه الملتزم بعدة سمات ابرزها انه قد دعا إلى وحدة اسلامية عربية وتآلف قومي اسلامي وذلك من منطلق ان العرب والاسلام وحدة ذات قواسم مشتركة وجذور واحدة ومصير وهدف واحد ؛ كما يلاحظ ان الشاعر يرى الاستعمار والاحتلال وجهان لعلمة واحدة لذا دعا إلى نضالهم معا واكد ان الانتصار على الصهانية لا يتم الا من خلال الانتصار على القوي الامبريالية والعكس صادق، كما يلاحظ ان الشاعر قد نافح ايضا عن العقيدة الاسلامية باعتبارها الاساس الفكري للاسلام والمسلمين ومنطلقهم الفكري امام كل الافكار والتيارات الغربية واكد على خصوبة العقيدة الاسلامية والقانون والشريعة في العصر الحديث كما نرى الشاعر قد شمل بعطفه كل الشعوب الاسلامية ولم يقتصر ادبه المقاوم على فلسطين خلافا لاكثر الشعراء بل تناول قضايا البوسنة والهرسك و مسلمي الهند و القسطنطينية و فلسطين و بغداد و أفغانستان كما ان الشاعر تميز ايضا بمواقفه الانسانية التي تجاوزت الحدود الدينية إلى افاق الانسانية كما في تعاطفه مع الطوفان (تسونامي).

أما الجانب الفني فنري الشاعر شحن شعره بمختلف الفنون البلاغية من مثل تقنيات التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز وكذلك فنون البديع كالتكرار والجناس والتضاد بهدف رسم ملامح المآسي الاسلامية والتاكيد على فداحتها والاصرار على ضرورة الاتحاد ومجابهة جبهتي الاستعمار والاحتلال وافكارهم الفاسدة.

تسعى هذه الدراسة من خلال المنهج الوصفي التحليلي ان تلقي الضوء على تجليات

الادب الملتزم لدى الشاعر وتبين ابرز محاورها السياسية والثقافية بجانب الكشف عن ابرز الصور الفنية التي رسم بها الشاعر لوحة المقاومة وبذلك يتمثل السوال الاساسي في هذا البحث: كيف تلي الادب الملتزم في شعر عدنان النحوي وما هي ابرز سماته؟

تحليل مظاهر المقاومة لدى الشاعر:

نظرا لسعة محاور المقاومة في شعر النحوي فقد ركزنا على محور مقاومة الاستبداد في احدي قصائده بعنوان (هوي وهوان) محاولين ان نعكس ابرز افكاره ورؤاه في الحكومات العربية كما نكشف عن جماليات شعره الفنية التي وظفها في تلك القصيدة.

أنشد الشاعر عدنان النحوي قصيدة (هوي وهوان) في واقع الأمّة العربية الإسلامية المنقسمة وندد فيها بسياسات الانظمة العربية القومية في تعاملها مع شعوبها الإسلامية ودعا تلك الشعوب إلى وحدة إسلامية تضم شتات العرب والمسلمين أجمع. القصيدة بمجملها أربعة لوحات متلاحمة ترسم بمجملها صورة مكتملة عن واقع الأمّة العربية المسلمة. في اللوحة الأولى تناول الشاعر واقع الأمّة العربية المسلمة وانقساماتها بفعل التوجهات القومية والميول السلطوية وتداعيات تلك الانقسامات على الواقع المعاش كما ان في اللوحة الثانية يصف الشاعر أسباب تلك المأساة ودوافعها الرئيسية كما ان في اللوحة الثالثة يصف العلاج الانجع لداء الانقسامات و الشتات المنتشر في جسم الأمّة المسلمة وفي اللوحة الأخيرة يكشف عن أبرز التحديات التي تسعى للحيلولة دون وحدة المسلمين و اجماع كلمتهم.

المحور الأول

انقسام الوطن العربي بيد الحكام

في هذا المحور يتوجه الشاعر بنقده للحكام العرب الذين هم مصدر انقسام الامة ويبين زيف افترائاتهم:

رماهم الخلفُ حتى قد شقّهم فرقا ... وأطلق الشرّ واستشري بهم عفنا

تقاسموا حدودا غير آمنة ... فما استقرّ فتي فيها ولا امنا

كلّ يغني هوي ربع أقام به ... ويحسب المجدُ في أفيائِه قطنا

هذا يقول هنا قلبُ العروبةِ ... لم تخفق بغير هواه أظلعي شجنا

وذا يقـــول هنـــا امّ الـــدنا فلكـــم ... مـدّت لنـا الأرضُ مـن رزق بهـا وجـني
وظـــنّ كـــلّ دعـــي انّ عصـــبتَه ... تكفيـــه إن مـــال شـــرٌّ نحـــوه ودنـــا
غفـــا ومـــال ومـــا أعطـــي ســـوي ... لغـطٍ ولم يـرو بهـا زرعـا ولا غصـنا
فقطـــوا رحمـــا أو مزّقـــوا ســـببا ... وضـــيعوا جولـــة أو أغلقـــوا أذنـــا
رضـوا بمـا قسّـم الأعـداءَ مـن قطـعٍ ... رضـا يثبـت فيهـا الـذلَّ و الوهنـا
وأطلقـــوا مـــن شـــعارات مزخرفـــةٍ ... ومـن هتـافٍ يـدير السـكرَ و الوسـنا
كأنّمـــا الوحـــدةُ الكـــبري مســـاومةٌ ... أو مـــدمعٌ كلّمـــا ناديتـــه هتنـــا

(النحوي، ١٩٩٣:٨٨)

يرسم الشاعر الواقع المأساوي جراء الانقسامات القومية في العالم العربي المسلم وتداعياته الكارثية على الشعوب المسلمة ويصف الادعاءات الفارغة للقادة القوميين و تشدقاتهم الجوفاء بزعامّة العالم العربي دون سوأهمّ. يصب الشاعر جام غصبه في بداية المقطع على الشعوب المسلمة المتوانية ويعنفها على بكاءها على الوطن الإسلامي دون القيام بالواجب فيري انه كان الاجدر بها ان تحتفظ بوحدتها الإسلامية أو ان تتحد وتتوازر من جديد فتخمد الفتن القومية لكنهم قد اكتفوا بالبكاء على مصير الوطن دون ان يعوا حقها ويحافظوا عليها بالغالي والنفيس فقد كان التشتّت و الاختلاف هو الذي افضي إلى الانقسامات و تداعياتها المهلكة فقد تقاسمت الحكام البلاد المسلمة واستفرد كلّ منهم ببلد منها ففقدت الأمّة المسلمة بذلك الامان والاستقرار وبات كلّ من الحكام يغني لصالحه ويتشدق بالمجد و البطولة حتى إنّهم اختاروا لانفسهم القابا قومية زورا وادعاءا فتلقب بلدانهم بقلب العروبة والبعض الاخر بام العروبة وهكذا ظن كلّ منهم انه سيد العرب وملكهم وان الله ناصره وان بلده هو معقل الخيرات وان جيوشه جرارة تحميه آوان الأزمات لذا فقد غفا عن الواقع و مال عن الحق ولم يقرب من عرشه سوي اللقطاء المداجين وغفل عن الشعب المسلم وشوونه المختلفة فقطعوا بذلك رحم العروبة و الإسلام وصموا اذإنّهم عن النصيحة فقد رضوا بما قسمه الاستعمار العالمي من الاراضي الإسلامية والعربية ذلة وهوانا لكنهمتغطية لتلك الحقائق و تشويها للواقع شرعوا يطلقون شعارات الوحدة الكبري دون تنفيذها على أرض الواقع.

يلاحظ ان الشاعر يصب جام غضبه في هذا المقطع على دعاة القومية العربية و ادعاتهم الفارغة وشعاراتهم الجوفاء فقد فرقوا الأمّة بتحزباتهم القومية و المصلحية في حال إنّهم يتشدقون بمحاولتهم جمع الشمل العربي المسلم. ومما يلاحظ في النصّ ان الشاعر في البيت الخامس يصرح ان الوطن الإسلامي بعد تقسيمه بلدانا قومية صغري لم ينعم اهلها بالأمن والاستقرار لبادا وما ذلك الا لضعف تلك البلاد أمام الأعداء واستكانتها لهم وتعرضها للاحتلالات المتوالية طيلة العصر الاخير. يلاحظ أيضا ان الشاعر في البيت الثاني عشر ينوه إلى قضية تقسيم الوطن العربي المسلم على يد الاستعمار الغربي ومعاهدة سايس بيكو التي حكمت بتقسيم الوطن العربي إلى عشرات الدول المتناحرة فهو يشير إلى ان الحكام العرب قد ورثوا تلك الفكرة الاستعمارية التقسيمة وهم متواطئين معها لذا فشعاراتهم في الوحدة مجرد تشدقات فارغة لتضليل الشعوب ومساومة يخدعون بها بسطاء العقول.

يزخر هذا النصّ بالفنون الابداعية التي شهدت على سمو خيال الشاعر ومن ضمنها قوله:

(وأطلقوا من شعارات مزخرفةٍ ومن هتافِ يدير السكرَ و الوسنا)

فهنا صور الهتافات الجوفاء لدى الحكام بانها تدير كووس الخمر وهذا التصوير الكنائي يدل على سكرة الحكام وغياب وعيهم عن الواقع اذ انهم يطلقون الشعارات الرنانية لمجرد التسلي والنشوة فيسكرون بها هم وجماهيرهم دون ان تغني عن واقع الاليم. كما ان بيته:

(كأنّما الوحدةُ الكبري مساومةٌ أو مدمعٌ كلّما ناديته هتنا)

شبه قضية الوحدة العربية لدى الحكام بالمساومة التي تستدر دموع الشعب اي ان الحكام جعلوا من شعارات الوحدة مبررا لوجودهم وحصولهم على الدعم والتعاطف الجماهيري والبيت يحمل ملامح التأنيب والتحذير من الانخداع بهذه الشعارات الزائفة.

ويح العروبة كم قلبٍ يقال لها وما ترى أبدا قلبا صفا وحنا
كلّ يقيم على اهواءِه صنما ويجعل الشوقَ من احلامِه وثنا
لو كان يعلم قومي ما مصيبتُهم لأرخصوا دونها الأرواحَ والبدنا
ما من عدوٍ لهم الا نفوسهم تسوقُ كلّ عدوٍ أورث الحزنا

هـــوي يقـــودُهم في كـــلّ مرديـــةٍ وشـهوةٍ عربـدت رجسـا بهـم وخنـا

(النحوي، ١٩٩٣: ٨٨)

المحور الثاني

تحديد الأسباب الرئيسية للأزمة

بعد ان وصف الشاعر الوضع المزري جراء الانقسامات القومي في الوطن الإسلامي شرع في هذه النصّ يحدد السبب الرئيسي لهذه الأزمة. فيقول الشاعر يا ويح العروبة كم من زعماء يتشدقون بحبها في حال إنّهم كاذبون وان اقوالهم مجرد ادعاءات جوفاء فكلّ منهم يسعي لمصالحه وماربه الخاصة ويعبد هواه ولو علم المسلمون بذلك لبذلوا نفوسهم في سبيل التحرّر من هذه الطغمة النتنة لكنهم انخدعوا بهم فلا عدو لهم اذن سوي جهالتهم التي لا تميز العدو من الصديق واهواءهم التي اردت بهم في المهالك والشهوات التي افضت بهم إلى الارتكاب الموبقات والفساد.

كما نرى فان الشاعر يرى السبب الحقيقي للأزمة هو انخداع الأمّة المسلمة بزعماءها وانصياعهم التام لسياساتها المهلكة بفعل تأثّرهم بالخطابات الرنانة والشعارات الحماسية كما ان اتباع الشهوات و الأهواء قد حال دون الايمان الحقيقي المستلزم في قضية الوحدة الإسلامية والتحرّر من ربقة الطواغيت وهكذا فان الأزمة في الدرجة الأولى أزمة نفسية تتمثل في انغماس الشعوب المسلمة في وحل الشهوات و الملاهي والذي يفصلها أساسا عن هموم الوطن والدين كما ان الأزمة في الدرجة الثانية هي مكر الحكام ونتمظهرهم بلباس القادة الساعين لوحدة الأمّة وجمع كلمتها.

وهذا المقطع ايضا يزخر بعدة نقاط بلاغية منها بيته

(ويـح العروبـة كـم قلـبٍ يقـال لهـا ومـا تـرى أبـدا قلبـا صـفا وحنـا)

فان تكرار مفردة القلب شكل جناسا بديعا اذ ان القلب الاول تصوير استعاري بمعني الداعم في حال ان القلب الثاني هو المودة وهو ايضا تصوير مجازي اذ ان القلب موضع المودة والعطف وهذه الثنائية حملت شفقة الشاعر على امته العربية من جانب وسخطه لادعائات الحكام من جان بآخر. كذلك فان بيته:

(كــلّ يقــيم علــى اهــواءِه صــنما ويجعــل الشــوقَ مــن احلامِــه وثنــا)

فقد شبه هوي الحكام بالصنم بجامع العبادة والتقديس وهذه الصورة توحي بتحريم هذا السلوك الآثم اذ ان تقديس الهوي حرام كما هو شأن عبادة الاصنام. كما ان المصراع الثاني يوازن بين احلام الحكام والاوثان وهذه الصورة ايضا توضح مدي قدسية اوهام الحكام في بقاء هيمنتهم على العالم الاسلامي حتى ان الشاعر يرى ذلك حلما لا يتحقق الا ان الحكام يقدسون كما ان ذكر الاحلام هنا يوحي ايضا بغفوة الحكام اي انهم غير مدركين لواقع الحال المعاش ولم يعوا حجم الكارثة التي تمرّ بها الامة العربية جراء سياساتهم الانقسامية.

مــا للعروبــةِ مــن قلــبٍ يــدقّ لهــا الا الهــدي يمــلأ الــدنيا رضــا وســنا
يحوطُهــا الــدين عــزا أو يمــدّ لهــا عزمــا ويرفــع أســيافُنا لهــم وقنــا
ويــربط العــروةَ الــوثقى علــى رحــمٍ ولا يــردّ بــه أحســانِه مننــا
وطلعــة الحــقِ بالإســلامِ مشــرقة تــزوي الظلامَ وتــزوي الشرّ والــدخنا
فــلا تــرى مــن غريــب في منازلِــه مضــيعٌ أو فــتي عــن أهلِــه ظعنــا

(النحوي، ١٩٩٣: ٨٩)

المحور الثالث

إيجاد العلاج الناجع للأزمة

بعد ان بين الشاعر أسباب الأزمة في الوطن الإسلامي وسر الانقسامات القومية تطرق في هذه اللوحة إلى العلاج الناجع والحلّ الشامل والمتمثل في الوحدة الإسلامية دون سواها. يصرح الشاعر ان العروبة ما لها من قلب سوي الشريعة الإسلامية ولا ترتضي ما سواها فالوحدة الإسلامية هي التي تحوط الشعوب العربية والمسلمة بعزها وتشد من عزمها وتدعمها في ساحات الجهاد وهي التي العروة الوثقى التي لا تنفصم اذا ما تمسّكت بها ايدي المسلمين وهي التي تستتخلص الحقوق من البغاة فتردها إلى اهلها المسلمين وتقضي على الضلال والجور والشر فلا ترى اذما تحققت اي احتلال و تشريد و نزوح في الوطن الإسلامي.

بعد ان كشف عن سر الداء في المقطع السابق وصف العلاج الامثل لهذا المرض الخبيث. توجد في النصّ عدة ملاحظات هامّة اولها ان الشاعر من منطلق فكره الإسلامي لا

يرى للعروبة قلب قومي ولا اي نمط اخر من القلوب سوي القلب الإسلامي الذي يمنحها الهدي و الرضي التام والملاحظ ايضا ان الشاعر استعار القلب للتعبير عن مكانة الشريعة الإسلامية في الوطن العربي وما ذلك الا لعظمة دور الشريعة في ديار المسلمين اذ انها تغذي الشعوب بنور هديها كما يغذب القلب سائر البدن ولولاها لهلكت الأمّة كما تهلك الابدان دون قلوبها والشاعر بهذا المثل انما يريد ان يبين مكانتها و يكشف لأمّته انه لا يمكن الاستغناء عنها كما لا يمكن الاستغناء عن القلب.

وفي قوله:

(ويربط العروةَ الوثقى على رحمٍ ولا يردّ به أحسانِه منا)

فقد صور الرحم العربية والتعاضد القومي والاسلامي بانه العروة الوثقى وفي ذلك تناص مع الاية الشريفة (فمن تمسك به.....تمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) وهذا التشبيه يحمل دلالة التقديس اي ان الشاعر اراد ان يقدس الاتحاد القومي والاسلامي حتى جعل منه فرضا يلزم التسمك به كما يلزم التسمك بالقران كما نوه ايضا بهذا التشبيه ان هذا التمسك هو المقنقذ الوحيد وكل تشبث بغيره سيودي إلى الضلال كما هو شأن القران.

المحور الرابع

تحديات الوحدة الاسلامية

بعد ان شرح في المقطع السابق حل الوحدة الاسلامية بات يشرح هنا ابرز التحديات التي تعترض سبيلها:

انّ العدى جمعوا أشتاتَهم وأتوا زحفا علينا يغطي السهلَ و الحزنا
من كلّ ملّةٍ كفرٍ لا ترى ابدا الا امتصاصَ شعوبِ الأرضِ و الضغنا
فاشعلوا الأرضَ من أطماعِهم لهبا وسجّروا البحرَ من طغيانهم سفنا
وفجروا الأفقَ من عدوانِهم حمما تهوى فتسحق من أهوالِها المدنا
هلّا أفقتم فما زالت لنا فرصٌ ينجي بها الله من أوفٍ وما ركنا
هبّوا يدا بيدٍ صفّا نشدّ به بنيانا ونشقّ الدربَ و السننا

(النحوي، ١٩٩٣: ٨٩)

ثمّ في المقطع الاخير بعد ان وصف العلاج المتمثل بالوحدة الإسلامية واتباع الشريعة السمحاء بادر فتدارك التحديات التي تعترض طريقها وعلي راس تلك التحديات هم الغرب الإمبريالي والاستعماري والالحادي.فان العدي قد تجمعوا صفا واحدا واتوا يزحفون جيوشا جرارة باتجاه الوطن الإسلامي فقد تضمن تلك الجيوش كلّ قوي الكفر والإلحاد تستهدف الأمّة الإسلامية في ثرواتها وديانتها فقد جاءوا لامتصاص الثروات الاقتصادية و تنفيذ احقادهم الطائفية والعنصرية في بلاد المسلمين لذا فهم قد اشعلوا الأرض لهبا باطماعهم وملا البحر بسفنهم المستعمرة و فجروا الفضاء بنيران اسلحتهم الجوية فسحقوا المدن الإسلامية باهوالها لذا فعلينا ان نفيق جميعا ونغتنم الفرصة لكي ينصرها الله باخلاصنا وان نهب صفا واحدا كالبنيان المرصوص فنحقق بذلك اهدافنا وامالنا.

من النقاط الهامّة في النصّ ان الشاعر بعد ما وصف العلاج المتمثلة بالوحدةالإسلامية تنبه فتدارك التحديات الكامنة في طريق الوحدة فتناولها بدقة وتمعن واصفا التحدي و كيفية احتواءه. يلاحظ ان الشاعر بدا في المقطع الأول بذكر اجتماع قوات العدي تحت راية واحدة السير بالاتجاه العالم الإسلامي بهدف نهبه ثرواته وتدمير حضارته التليدة والهدف من ذلك امران في غاية الأهمّية اولهما ان الشاعر يريد ان يحذّر العالم الإسلامي مما يحاك له و ما ينتظره من صراع عالمي شرس لذا فعليه اخذ الحيطة والحذّر كما ان الأمر الثاني ان الشاعر يريد ان تسير الشعوب الإسلامية على منوال الوحدة الغربية فتتجمع صفا واحدا فتواجههم بنفس السلاح المتمثل بالوحدة الإسلامية.

ويلاحظ في هذا البيت:

(انّ العدي جمعوا أشتاتهم وأتوا زحفا علينا يغطي السهلَ والحزنا)

هنا نلاحظ ان عبارة (السهل والحزن) تعني من كل اتجاه وهي تدل على الكثرة وقد وردت هذه الصورة في القران الكريم بقوله تعالى (اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم...) فالفوق هي سهول الارض والحزن هي اسافلها وهذه الثنائية المتضادة كناية عن كثرة الاتجاهات التي تصدر منها جحافل العدو. كما ان قول الشاعر:

(هبّوا يدا بيدٍ صفّا نشدّ به بنيانا ونشقّ الدربَ والسننا)

هنا يدعو الشاعر إلى تعاضد الامة حتى يشتدوا فيكونوا كالبنيان المرصوص وهذه الصورة استقاها الشاعر من التراث القراني اذ يقول الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ فقد نصح المسلمين بالصف الواحد المتراص الذي يشد بعضه بعضا كما ان استعارة هذه الصورة وتشبيه المسلمين المتحدين بالبنيان انما اتحادهم هو عصمتهم وامنهم كما يحضن البنيان المتراص اهله من كيد الاعداء فالشاعر يحث الشعب على الاتحاد كلما شعروا بالخوف من العدو كما يتحصن الانسان بقلاعه حين مهاجمة العدو.

وهكذا نرى الشاعر من منطلق فكره الإسلامي و عقيدته الدينية اقترح الوحدة الإسلامية والنهج الإسلامي لأمّته العربية المبتلاة بداء التحزبات القومية و الطائفية وحث الشعوب العربية على ترك الخصابات القومية والوطنية والتمسّك بالإتّحاد الإسلامي دون سواه اذ انه الحلّ الوحيد الذي بامكانه ان ينتشل العالم الإسلامي من وهدة الاستعمار و التخلّف نظرا لما في الفكر الديني من طاقات جهادية تشحن اصحابها بالثبات و الصمود آوان الأزمات فضلا عن انه اوسع رقعة و اكثر شعبية واعظم انتشارا من الأفكار القومية وما شابهها.

النتيجة:

تعددت صور الالتزام في شعر عدنان النحوي ومن ابرز مجابهة الاسبتداد كما في هذه القصيدة اذ ركز على قضية مقاومة الاستبداد.فقد أنشد الشاعر هذه القصيدة في واقع الأمّة العربية الإسلامية المنقسمة وندد فيها بسياسات الحكومات القومية العربية في تعاملها مع الشعوب العربية وقد انقسمت القصيدة بمجملها إلى اربعة محاور متلاحمطة اما المحور الاول فقد تناول الشاعر واقع الأمّة العربية المسلمة وانقساماتها بفعل التوجهات القومية والميول السلطوية وتداعيات تلك الانقسامات على الواقع المعاش كما ان المحور الثاني يصف الشاعر أسباب تلك المأساة ودوافعها الرئيسة كما ان في المحور الثالث يصف علاج تلك الانقسامات و الشتات المنتشر في جسم الأمّة المسلمة وفي المحور الرابع يكشف عن أبرز التحديات التي تعرقل مصير وحدة المسلمين.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

١. ابن منظور، جما ل الدين محمد بن مكرم،(١٩٩٥)، لسا ن العرب، بيروت، دار صادر.
٢. ابوحاقه، احمد(١٩٧٩)، الإلتزام في الشعر العربي، بيروت: دارالعلم للملايين.
٣. بدوي طبانه، (١٩٨٤)، قضايا النقد الأدبي. الرياض: دار المريخ للنشر.
٤. حماد، سهلية بن زين العابدين. (١٤٢٢ ق). التيار الإسلامي في شعر عبدالرحمن العشماوي، الرياض.
٥. الدسوقي، عمر. (١٩٧٣)، في الأدب الحديث، القاهرة: مطبعة مصر العربية للنشر.
٦. دوني، بونوا. (٢٠٠٥)، الأدب والالتزام، من باسكال إلى سارتر، ترجمة محمد برادة. القاهرة.
٧. عبد النور، جبور. (١٩٨٤)، المعجم الأدبي. بيروت: دار العلم للملايين.
٨. الغامدي، أحمد بن سعد حمدان(١٤٠٥ه ق)، الوحدة الإسلامية اسسها ووسائل تحقيقها، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
٩. غنيمي هلال، محمد. (١٩٩٨). قضايا معاصرة في الأدب والنقد، القاهرة.
١٠. شكري، غالي(١٩٧٩)، أدب المقاومه، چاپ اول، بيروت: دارالآفاق الجديده.
١١. محمود، على عبد الحليم،(١٤٠١ه ق)، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، الرياض، مطبعة محمّد بن سعود الإسلامية.
١٢. المنصوري، جابر. (٢٠٠٠)النقد الأدبي الحديث. عمان.
١٣. النحوي، عدنان، (١٩٩٣م)، ديوان مهرجان القصيد،الرياض، دار النحوي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.
١٤. هاشم، سهام، (١٩٩٣) الالتزام عند الكتاب المصريين. القاهرة: مصر العربية للنشر والتوزيع.